Kufa Journal of Arts
September 2024. No. 61, P 183-204
Faculty of Arts, University of Kufa.

مجلة آداب الكوفة
العدد ٦١، ايلول ٢٠٢٤م، ص ١٨٣-٢٠٤
كلية الآداب، جامعة الكوفة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

موقف الدولة الفاطمية من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام ٤٩٢-٥٤٨هـ/١٠٩٩-١١٥٣م مع اشارات خاصة إلى الموقف من احتلال القدس رؤية جديدة

تقدم الطلب ٢٠٢٤\٦\١٠ قبول النشر ٢٠٢٤\٧\١٣

أستاذ مشارك د. عثمان إسماعيل الطل
كليّة الآداب- جامعة القدس
oaltel@staff.alquds.edu

الملخص:
تتناول الدراسة بالنقد والتحليل موقف الدولة لفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام من عام ٤٩٢-٥٤٨هـ/١٠٩٩-١٠٥٣م، فتستعرض الاتهامات التي وجهت للفاطميين بالخيانة، وبالتخاذل، وبالتحالف والتواطؤ مع الصليبيين لاقتسام ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام، كما تتناول موقفهم من الاحتلال الصليبي لمدن بلاد الشام مع التركيز على الموقف من احتلال مدينة القدس، ومدى قيامهم سواء بالدفاع عنها، أو محاولة انقاذها من السقوط بإرسال نجدة عسكرية، ثم محاولات استردادها واسترداد المدن الأخرى بعد سقوطها، والحروب التي خاضوها بهذا الخصوص. وتهدف الدراسة بالمقاوم الأول إلى محاولة استقراء مدى صحة الاتهامات الموجهة للموقف الفاطمي من الغزو الصليبي سواء لدى المؤرخين القدماء أو المحدثين على السواء.

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، الموقف الفاطمي، الاحتلال الصليبي، سقوط القدس بيد الصليبيين.

The Fatimid State's position on the Crusader occupation of the Levant 992-548 AH/1099-1153 AD With special reference to the position on the occupation of Jerusalem New Vision

Associate Professor Dr. Othman Ismail Al-Tal
Faculty of Arts - Al-Quds University

Abstract:
The study deals with criticism and analyses the attitude of the Fatimid's state from the Crusaders invasion to *Bilad Al-sham* from the year: 492-548 AH/1099-1153 AD. It reviews the accusation which directed to the Fatimid of treason, neglected and the alliance and collaboration with the Crusaders to divide the Seljuk properties in *Bilad Al-sham* between them. It is also addresses the Fatimid's attitude from the Crusaders occupation to the cites of *Bilad Al-sham*, with special references to their attitude from the occupied of Jerusalem, and the extent which they defended It, or tries to save it by send military rescue from the fall, and the wars they fought in attempts to release it and other cites from the occupation. The study aims to attempt to extrapolate the validity of the accusations which directed to the Fatimid attitude from occupation in both ancient and modern historians alike.

DOI: https://doi.org/10.36317/kja/2024/v1.i61.16523
Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤.٠ الدولي.

Key words: Fatimid's state, Fatimid state attitude, Crusaders occupation, the fall of Jerusalem in the crusaders hands.

المقدمة:

كان لسقوط بلاد الشام في أيدي الصليبيين بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى في الاستيلاء على المنطقة تأثير كبير ومعقد على العالم الإسلامي بشكل عام، ولعل مرد نجاح الصليبيين في السيطرة على المنطقة يرجع بالدرجة الأولى إلى حالة الضعف والانقسام الذي شهده العالم الاسلامي قبيل وصول الصليبيين إلى المنطقة، فقد كان هناك الخلافة العباسية في بغداد التي تخضع لسيطرة السلاجقة، والخلافة الفاطمية مصر، وتبادل هؤلاء السيطرة على مناطق من بلاد الشام، التي كان يوجد بها أيضا بعض الأمراء والحكام الذين كان ولائهم موزعا بين الفاطميين والسلاجقة، وكان للصراع السلجوقي الفاطمي الطويل تأثير كبير في جعل الطرفين في حالة من الضعف لا تمكن أي منهما من حسم هذا الصراع، وهو ما جعل المنطقة تفتقد وجود دولة أو قوة تستطيع الوقوف أمام التقدم الصليبي.

تعرض موقف الدولة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام إلى انتقادات حادة من بعض المؤرخين القدماء والمحدثين، ومن المؤرخين المحدثين على وجه الخصوص، وتراوحت وجهة نظرهم ما بين متهم لهم بأنهم هم الذي دعوا الصليبيين إلى غزو المنطقة واحتلالها، وأنهم قدموا لهم عرضا بالتحالف معهم وتقسيم ممتلكات السلاجقة في المنطقة بين الطرفين الصليبي والفاطمي، كما اتهموهم بالتخاذل في تخليص المنطقة من الصليبيين بعد أن وقعت في قبضتهم، واتهمهم البعض بأنهم لم يقدروا طبيعة الحركة الصليبية، وحتى الذين أقروا بمحاولة تصديهم لهذا الغزو ارجعوا القيام بذلك إلى الوزراء السنة وليس إلى الدولة أو الخلافة الفاطمية ذاتها.

إلى بعض هذه الأسباب، أو كلها مجتمعة، اتقد غالبية الباحثين والمؤرخين المحدثين الموقف الفاطمي من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، سواء جاءت آرائهم هذه دراسات خاصة عن الموضوع، أو من خلال الكتابة عن التاريخ الصليبي والفاطمي بشكل عام، ومن الدراسات التي افردت للموضع بشكل مباشر على سبيل المثال لا الحصر: دراسة سعيد عبد الفتاح عاشور(شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، ١٩٦٩)، ودراسة هيفاء عاصم الطيار (الفاطميون والغزو الصليبي، ٢٠١٣)، ودراسة خالد الكريبي (موقف الدولة الفاطمية من الحروب الصليبية، ٢٠٢٢)، ودراسة بغداد سحيري (العدوان الصليبي على بلاد الشام وموقف الفاطميين منه خلال القرنين (٥-٦هـ/١١-١٢م)، ٢٠٢٠)، ودراسة حسناء الدمرداش (المقاومة الفاطمية للحملات الصليبية، ٢٠١٩)، ودراسة محمد مختار الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعي (عاشور، سعيد، شخصية الدولة الفاطمية، ١٩٦٩: ١٥-٦٦؛ الطيار، ٢٠١٣: ١٢٦-١٨١؛ الكريبي، ٢٠٢٢: ٤١١-٤٢٩؛ سحيري، ٢٠٠٠: ٦-٣١؛ الدمرداش، ٢٠١٩: ٩٩-١٣٠؛ الشنقيطي، ٢٠١٦).

من الواضح أن معظم إن لم نقل أن جميع هذه الدراسات قد تبنت بنسب مختلفة الموقف الذي طرحه سعيد عاشور في القول أن غالبية المسلمين والقوى الإسلامية لم يدركوا طبيعة الحركة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الصليبية وهدفها، بدليل أن الفاطميين فكروا في التحالف معها ضد خصومهم، أي ضد الخلافة العباسية والأتراك السلاجقة من ناحية، وأن الفاطميين ربما استندوا في موقفهم هذا على اعتقادهم أن الحملة الصليبية لا تعدوا عن كونها مشابهة للحملات العسكرية التي كانت تقوم بها الدولة البيزنطية على بعض المناطق الإسلامية في أواخر القرن العاشر الميلادي.

تأتي هذه الدراسة كمحاولة لاستقراء الموقف الفاطمي من الغزو الصليبي للمنطقة، وتقديم تحليل نقدي للروايات التاريخية المتاحة للمؤرخين المسلمين وغير المسلمين، وتتبع التحركات العسكرية الفاطمية خلال وبعد الحملات الصليبية، بهدف توضيح الموقف الفاطمي من الغزو الصليبي، وبيان إذا ما كان الفاطميين لم يدركوا فعلا طبيعة الحركة الصليبية وهدفها، وأنهم عملوا على التعاون والتحالف معها، وأنهم تخاذلوا في مواجهة الصليبيين بعد سيطرتهم على المنطقة.

تعتمد الدراسة المنهج التاريخي حيث تم الرجوع إلى أغلب الروايات التاريخية المتاحة ونقدها وتحليلها، وتكمن الصعوبة في مثل هذه الدراسات إلى التعصب المذهبي عند المؤرخين، سواء ضد أو مع الفاطميين بشكل عام، وهو ما انعكس بشكل واضح في الدراسات الحديثة.

الموقف الفاطمي من الغزو الصليبي في المصادر العربية واللاتينية:

يعرف المؤرخون الحركة الصليبية بأنها حركة انبعثت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على بلاد المسلمين وبخاصة الشرق الأدنى بقصد امتلاكها، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت الغرب الأوروبي في القرن الحادي عشر الميلادي – الخامس الهجري، واتخذت من استغاثة المسيحيين في الشرق ضد المسلمين ستاراً دينياً للتعبير عن نفسها في نطاق زمني واسع (عمران، ٢٠٠٠: ١٥؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ٢٥)، وشكل خطاب البابا أوربان الثاني (Urban 11) في مؤتمر كليرمونت بفرنسا سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت نار الحروب الصليبية ضد بلاد الشرق الأدنى الإسلامي (عن ذلك انظر: الشارتري، ١٩٩٠: ٣١-٣٧).

نجحت الحملة الصليبية الأولى في طريقها إلى المنطقة وتحديدا إلى القدس في الاستيلاء على نيقية، بعد أن استسلمت حاميتها السلجوقي للإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين مقابل تأمينهم على حياتهم (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٦؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٣١-١٣٢) ، ثم حاصرت أنطاكية التي قاوم حاكمها ياغي سيان (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٥٥-١٦٥)، الحصار لمدة سبعة أشهر(ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٧؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٤-١٥؛عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٥٥-١٦٥)، تعرض خلالها الصليبيين للكثير من المتاعب (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٥٥-١٦٥) ، ولكنهم تمكنوا في النهاية من مواصلة حصارها واحتلالها، بعد التغلب على الحملة السلجوقية التي قادها أمير الموصل كربوغا (كربوغا)، لإنقاذها، ونجحوا في احتلالها

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

(ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٥-١٦؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٤/ ١٠١١؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٦٥-١٧٣؛ عمران، ٢٠٠٠: ٣٠-٣١).

بعد الاستيلاء على أنطاكية، احتل الصليبيون معرة النعمان (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٦؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٦؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٤/ ١٨٦-١٨٧؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٧٨-١٨٢)، وزحفوا إلى القدس عبر طريق الساحل (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٨٦-١٨٧)، وفي طريقهم إليها احتلوا طرابلس التي قام حاكمها ابن عمار بمسالمتهم (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٨٧-١٩٠)، كما احتلوا كل من وبيروت (عمران، ٢٠٠٠: ٣٠-٣١) (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١:١٩٤؛ عمران، ٢٠٠٠: ٣٠-٣١)، وصيدا (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٤)، وعكا (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٤)، وصولا إلى قيسارية وأرسوف (عمران، ٢٠٠٠: ٣٢؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٤-١٩٥؛ عمران، ٢٠٠٠: ٣٢)، حتى الرملة (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٥) ، ثم إلى بيت المقدس، التي نجحوا في احتلالها بعد حصار استمر لمدة أربعين يوما، تخللها مقاومة شديدة (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٩؛ عمران، ٢٠٠٠: ٣٣؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٥-١٩٨؛ عمران، ٢٠٠٠: ٢)، وارتكبوا بها مجزرة راح ضحيتها غالبية من كان في المدينة من السكان (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٧-١٤٩؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٩؛ الشارتري، ١٩٩٠: ٧٤-٧٨؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ١٢٦-١٢٨؛ رانسيمان، ١٩٩٤: ١/ ٤٣٣-٤٣٥؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٨- ١٩٩؛عمران، ٢٠٠٠: ٣٣؛ الحياري، ١٩٩٤: ٤٣-٤٤).

تتهم بعض المصادر العربية واللاتينية الفاطميين، "وتحديدا الأفضل بن بدر الجمالي"[١] (ت٥١٥هـ/١١٢٢م) (ابن الطوير، ١٩٩٢: ٣؛ ابن خلكان، ١٩٧٨: ٢/ ٤٨٨)، بأنهم قد أرسلوا إلى الفرنجة يستدعونهم لغزو بلاد الشام ومهاجمة السلاجقة، ويعبر ابن الأثير عن هذا بالقول: "وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم" (ابن الأثير، ٢٠٠٢: ٩/ ٢١؛).

[١] الأفضل بن بدر الجمالي: هو أبو القاسم الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، تولى أمور الوزارة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧هـ، وظل متولياً الوزارة حتى وفاته سنة ٥١٥هـ، كان متقلداً لشؤون الحكم في مصر في عهد الخلفاء الأطفال المستعلي والآمر بأحكام الله. ابن الطوير، أبو محمد، المرتضى عبد السلام القيسراني، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن السيد، ط١، دار صادر، ١٩٩٢ م، القسم التاريخي، ص٣؛ ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة، (د.ط)، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص٤٨٨.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

اضافة إلى هذا، فقد اتهمهم البعض بالتقاعس والتراخي عن الدفاع عن بلاد الشام بشكل عام، وبخاصة أنطاكية وطرابلس وبيت المقدس، فيقول ابن تغري بردي عن سقوط أنطاكية: ""وكان أخذ المعرة في ذي الحجة بعد أخذ أنطاكية. ولما وقع ذلك أجتمع ملوك الإسلام بالشام، وهم رضوان صاحب حلب وأخوه دقاق وطفتكين وصاحب الموصل وسكمان بن أرتق صاحب ماردين وأرسلان شاه صاحب سنجار[٢] (ياقوت، ١٩٩٧: ٣/ ٢٦٢) - ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال- فأجتمع الجميع ونازلوا أنطاكية وضيقوا على الفرنج حتى أكلوا ورق الشجر" (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٧)، ثم يسترسل في وصف سوء حالة الصليبيين عندما زحفوا على بلاد الشام، وكيف أن المسلمين في العراق والشام حاولوا صدهم، كل ذلك وعساكر مصر لم تتهيأ للخروج فقال: "والعجب أن الفرنج لما خرجوا إلى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع عدم القوت حتى أنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر المسلمين في غاية القوة والكثرة، فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم، وانكسر أصحاب الجرد السوابق، ووقع السيف في المجاهدين والمطوعين. فكتب دقاق والأمراء إلى الخليفة (أعني المستظهر العباسي) يستنصرونه؛ فأخرج الخليفة أبا نصر ابن الموصلايا إلى السلطان بركياروق ابن السلطان ملكشاه السلجوقي يستنجده. كل ذلك وعساكر مصر لم تتهيأ للخروج"(ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٨). كما يفهم منه أنهم قد تقاعسوا عن نجدت طرابلس لمدة طويلة، حيث أنهم أرسلوا جيشا ضعيفا في مرافقة الاسطول، إضافة إلى أن الأفضل لم يخرج بنفسه مع الجيش كما كان يفعل والده بدر الجمالي (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٧٩-١٨٠؛ الكريبي، ٢٠٢٢: ٤٢٦)، فقال عن ذلك: "قلت: ومن هذا يظهر عدم اكتراث أهل مصر بالفرنج على كل وجه. الأول: من تقاعسهم عن المسير في هذه المدة الطويلة. والثاني: لضعف العسكر الذي أرسلوه مع اسطول مصر، ولو كان لعسكر الأسطول قوة لدفع الفرنج من البحر عن البلد على حسب الحال. والثالث: لم لا خرج الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بالعساكر المصرية كما فعل والده بدر الجمالي في أوائل الأمر. هذا مع قوتهم من الأموال والعساكر والأسلحة. فلله الأمر من قبل ومن بعد"(ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٧٩-١٨٠؛ الكريبي، ٢٠٢٢: ٤٢٦).

وعن تقاعسهم كذلك في الدفاع عن القدس قال: "وأما أخذ بيت المقدس فكان يوم الجمعة ثالث عشرين شعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، وهو أن الفرنج ساروا من أنطاكية ومقدم الفرنج كندهري في ألف ألف، منهم خمسمائة ألف مقاتل وفارس، والباقون رجالة وفعلة وأرباب آلات من مجانيق وغيرها، وجعلوا طريقهم على الساحل، وكان بالقدس افتخار الدولة من قبل المستعلي خليفة مصر[٣] صاحب الترجمة، فأقاموا يقاتلون أربعين يوما، وعملوا برجين مطلين

[٢] سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. ياقوت، ج ٣،٢٦٢.
[٣] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٨-١٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٦٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٩-٢٨.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

على السور؛ أحدهما بباب صهيون، والآخر بباب العمود وباب الأسباط، وهو برج الزاوية؛ ومنه فتحها السلطان صلاح الدين بن أيوب، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، فاحرق المسلمون البرج الذي كان بباب صهيون وقتلوا من فيه. وأما الآخر فزحفوا به والصقوه بالسور، وحكموا به على البلد، وكشفوا من كان عليه من المسلمين؛ ثم رموا بالمجانيق والسهام رمية رجل واحد فانهزم المسلمون فنزلوا إلى البلد، وهرب الناس إلى الصخرة والأقصى واجتمعوا بها فهجموا عليهم وقتلوا في الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم، وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء، وأخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قنديلا،.... . هذا كله وعسكر مصر لم يحضر، غير أن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي صاحب مصر لما بلغه أن الفرنج ضايقوا بيت المقدس خرج في عشرين ألف من عساكر مصر وجد في السير، فوصل إلى القدس يوم ثاني فتحه ولم يعلم بذلك، فقصده الفرنج وقاتلوه، فلم يثبت لهم ودخل عسقلان بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير، فاحرق الفرنج ما حول عسقلان وقطعوا أشجارها، ثم عادوا إلى القدس. ثم عاد الأفضل إلى مصر بعد أمور وقعت له مع الفرنج. واستمر بيت المقدس مع الفرنج فلا قوة إلا بالله (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٨-١٤٩).

أما المصادر اللاتينية فتتوسع إلى ما هو أكثر من ذلك، فتتهم الفاطميون بمحاولة التواطؤ مع الفرنجة من خلال ارسال الأفضل بن بدر الجمالي برسل من القاهرة لمقابلة قادة الفرنجة خلال حصارهم لأنطاكية، وأن هذا الوفد قد التقى بهم بالفعل، وأنه اقترح عليهم أن يتم اقتسام ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام بين الطرفين، بحيث يأخذ الفاطميون فلسطين، بينما يأخذ الفرنجة بلاد الشام الشمالية (الحيارى، ١٩٩٤: ٣٩). وهو العرض الذي لم يلقى قبولا من أمراء الفرنجة الذين كانوا يعلمون أن هدف حملتهم الأول هو الاستيلاء على القدس(انظر: الصوري، ١٩٩١: ١/ ٩٥-١٠٩؛ رانسيمان، ١٩٩٤: ١/ ١٨٩-١٩٢؛ الشارتري، ١٩٩٠: ٣٥-٣٨؛ الحياري، ١٩٩٤: ٣٩)، والقبول بمثل هذا العرض يعني بطبيعة الحال أن هذا الهدف لن يتحقق، فيذهب وليم الصوري إلى أن الفاطميين قد أرسلوا وفدا لحث الصليبيين على مواصلة حصار أنطاكية، متعهدين لهم بإمدادهم بالنجدة وبالسلاح، وأن الوفد الفاطمي قد حاول عقد معاهدة صداقة بين الطرفين، فقال عن ذلك: "...وكان حاكم مصر ينظر بعين الريبة إلى كل وسع من جانب الفرس أو الترك على السواء ومن ثم كانت فرحته بالغة حين جاءته الأخبار بضياع نيقية من يد قلج أرسلان، وبهزيمة جيشه فيها، وأثلج صدره ما علمه من قيام الصليبيين بحصار أنطاكية، وعد كل خسارة تصيب الأتراك مكسبا له، ورأى أن المصائب التي تلم بهم تعمل على استقرار أمنه وأمن رعاياه، وخاف أن تؤدي أهوال طول الحصار الى قتل رجالنا، ومن ثم بعث بسفرائه ورجال من حاشيته الى رجالنا، يحملون اليهم رجاءه في ان يستمروا في حصارهم الذي فرضوه على أنطاكية، وعهد الى مندوبيه أن يؤكدوا للصليبيين مولاهم السلطان سوف يعينهم بالنجدة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

والذخيرة. كما حاول هؤلاء السفراء أيضا كسب الزعماء وحملهم على عقد معاهدة صداقة بين الطرفين.

ويضيف قائلا أن الرسل قد أطاعوا أمر مولاهم طاعة صادقة وركبوا البحر فوصلوا الى المعسكر الصليبي. وهم أحرص ما يكونون على أداء المهمة التي حملوها، فتلقاهم زعماء جيشنا بما يليق بهم من الحفاوة والتبجيل، وعقدوا معهم عدة اجتماعات، ليتيحوا لهم الفرصة لإبلاغ رسالتهم.

وأعجب المبعوثون بما رأوه من رجالنا في وكثرة عددهم ووفرة سلاحهم وقوة صبرهم على تحمل الشدائد، كما امتلأت قلوبهم حزما من هذا الجيش ذي القوة المتين، لما احسوه في قرارة أنفسهم بما يمكن ان يحدث في المستقبل مما قد يتعرض له مولاهم من تجربة مريرة وهو يحاول سرا نزع قوة واحلال أخرى مكانها(الصوري، ١٩٩١: ١/ ٣٠٤-٣٠٥).

ويؤكد ريموندا جل، على وجود الوفد الفاطمي أثناء حصار أنطاكية، ويضيف إلى ذلك أن الصليبيين قد أرسلوا وفدا منهم مكلفا بعقد صلح مع الوفد الفاطمي عندما عاد إلى القاهرة، فقال: "كان سفراء مصر موجودين أثناء هذه الأحداث، وعندما رأوا المعجزات التي صنعها الرب من خلال عبيده، أثنوا على يسوع، ابن العذراء "مريم"، الذي رأس من خلال أولئك الشحاذين تحت قدمه أقوى الطغاة، وفضلا عن ذلك فقد وعدوا بصداقتهم ومعاملتهم الطيبة، وذكروا الأعمال الطيبة التي يقوم بها ملكهم للمسحيين المصريين وحجاجنا. وبالتالي فان مبعوثينا المكلفين بالدخول في صلح رحلوا معهم" (ريموناجيل، ١٩٨٩: ١٠٥).

كذلك ذكر بطرس توديبود وجود الوفد الفاطمي أثناء حصار أنطاكية، فقال: "واسترد الصليبيون عدد كاف من الخيول والضروريات الأخرى. وعادوا بالأسرى، حاملين مائة من رؤوس القتلى من الأتراك من أمام بوابة أنطاكية، حيث كان مبعوثو أمير مصر، الذين أرسلهم إلى كونت صنجيل وإلى السادة الآخرين، يقيمون في المعسكر أثناء ذلك (توديبود، ١٩٩٩: ١٤٢-١٤٣).

الموقف الفاطمي من الغزو الصليبي:

حكم الفاطميون بعض مناطق بلاد الشام زهاء قرن من الزمن (٣٥٩-٤٦٣هـ/٩٦٩-١٠٧٠م)، ثم خسروا بعضا من هذه المناطق ومنها القدس للسلاجقة التي حكموها قرابة ثمانية وعشرين عاما، ثم في عام (٤٩١هـ/١٠٩٨م)، استردوا نفوذهم بقيادة الأفضل بن بدر الجمال على كل فلسطين تقريبا، ففي شعبان سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، استردوا القدس من السلاجقة عندما تمكن الأفضل بن بدر الجمالي من احتلالها بعد أن قام بمحاصرتها بعد رفض واليها السلجوقي الاستسلام (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٣٥-١٣٦؛ المقريزي، الخطط، (ب.ت): ٢/ ٢٠٤)، وعين عليها افتخار الدولة حاكما من قبله (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٩؛ الحنبلي، (د.ت): ١/ ٣٠٥)،

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ووضع معه حامية عسكرية فاطمية (الحياري، ١٩٩٤: ٣٧-٣٩)، وعاد إلى القاهرة، في الوقت ذاته الذي كان فيه الصليبيون يحتلون أنطاكية ويتقدمون باتجاه القدس.

أ. دفاع الحاميات الفاطمية عن المدن وخاصة القدس:

إن ما يؤكد عدم وجود أي اتفاق بين الصليبين والفاطميين هو زحف الصليبيين بعد احتلالهم لأنطاكية مباشرة باتجاه القدس، ولم تتمكن الحامية الفاطمية في حيفا من مقاومة هجوم الصليبيين عليها فسقطت في أيديهم، ويرى ر، سي، سميل، أنه بالرغم من أن الفاطميين كانوا يملكون حافزا قويا يدفعهم للتعويض عن خسائرهم؛ لأن القدس وجنوبي فلسطين والمدن الساحلية حتى مدينة جبلة كانت ولاية تابعة لهم قبل دخول الصليبيين بلاد الشام (ر، سي، سميل، ١٩٨٥: ١٤١؛ طاعة، ٢٠١٢: ١٢٧-١٢٨)، ويضيف أن سقوط القدس بيد الصليبيين يبين مدى تقاعس الفاطميين عن الدفاع عنها في ظل امتلاكهم أسطول كبير، إضافة إلى امتلاكهم لقوات برية كبيرة العدد بإمكانها حمايتها، أو على الأقل تأخير الاحتلال الصليبي لمدن الساحل الفلسطيني.

ويشار إلى أن حامية أرسوف الفاطمية قاومت الهجوم الصليبي، وتمكنت من قتل عددا منهم (الشارتري، ١٩٩٠: ١١٣-١١٤)، ولما لم يصلها نجدة من القاهرة (الكناني، ١٩٨١: ٢٠٣)، وبسبب تشديد الصليبيين للحصار، طلب أهلها الأمان، فوافق الصليبيون على ذلك وسمحوا لهم بمغادرتها إلى عسقلان (طاعة، ٢٠١٢: ١٣٠؛ الصوري، ٢:١٩٩١/ ٢١٨-٢١٩؛ طاعة، ٢٠١٢: ١٣٠).

كما صمدت الحامية الفاطمية في قيسارية للحصار الصليبي على أمل وصول إليهم نجدات من الفاطميين، واضطروا أن يعرضوا على الصليبيين الاستسلام مقابل مبلغ مالي، ولكن الصليبيين رفضوا ذلك واشترطوا استلام المدينة مقابل تأمين حياة سكانها (الكناني، ١٩٨١: ٢٠٤)، ولكن الحامية الفاطمية رفضت ذلك، واستمر القتال حتى تمكن الصليبيين من احتلالها (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٦٧؛ الكناني، ١٩٨١: ٢٠٧).

وأما القدس فقد قام حاكماها الفاطمي افتخار الدولة من قبل الوزير الأفضل (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٩؛ ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٤٨)، بالاستعداد لمواجهتهم، فقام بتسميم آبار المياه، وقطع مصادر المياه، وأخفى المواشي، كما قام بطرد مسيحيي المدينة، وتقوية التحصينات والتأكد من سلامة الأسوار، معتمدا في الدفاع عنها على حامية عسكرية من الجند الفاطميين والسودان (طاعة، ٢٠١٢: ١١٥؛ وعن ذلك انظر: عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٦؛ طقوش، ٢٠٠٧: ٤٣٤-٤٣٥؛ طاعة، ٢٠١٢: ١١٥).

كما حرص افتخار الدولة على أن يوفر لسكان المدينة والحامية من المؤن ما يكفيهم إذا طال أمد الحصار، كما أرسل إلى قادته في مصر يطلب منهم النجدة (رانسيمان، ١٩٩٤: ١/ ٤١٦-٤١٧)، وذكر وليم الصوري أن خليفة مصر أراد أن يكسب ولاء سكان بيت المقدس، فصرف

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

أموالا من خزانته الخاصة، وأن يسامحوا نهائيا فيما عليهم من الضرائب والمكوس (الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٦٧).

وفي تلك الأثناء وصلت إلى ساحل يافا سفن صليبية جنوية (من مدينة جنوة)، حاملة إلى الصليبيين ما يحتاجون إليه من عدد الحصار، ولم يتمكن الأسطول الفاطمي رغم إلحاقه خسائر بالأسطول الجنوي واجباره على الانسحاب (الصوري، ١٩٩١: ٢/ ١٠٦-١٠٧)، من منع السفن الجنوية من تقديم المساعدات للقوات المحاصرة للقدس، التي تم محاصتها وبها الحامية العسكرية الفاطمية، هذا على الرغم مما تعبر عنه المصادر اللاتينية من الصليبيين كان لا يزال يعوزهم السلاح وأدوات الحصار، ولم تكن لديهم القوات الكافية لإحكام حصارهم للمدينة ومنع هجمات الحامية الفاطمية (انظر: الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٩٧-١٠٧؛ طاعة، ٢٠١٢: ١١٦).

وبعد حصار قرابة أربعين يوما، تم اقتحام المدينة، ولم يسع الجند المدافعون عن بيت المقدس من المسلمين سوى الاحتماء بالمسجد الأقصى، فتبعهم الصليبيون واقتحموا المسجد وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية أجمعت المصادر العربية واللاتينية على فضاعتها، فأورد سعيد عاشور نقلا عن بعض المؤرخين اللاتين القول: "حتى أن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين" (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٧).

على أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس لم يتم في سهولة ودون مقاومة، إذ صادف الصليبيون مقاومة شديدة. فقد قاوم حاكم المدينة الفاطمي –افتخار الدولة- مع جنوده ثلاثة أيام بعد دخل الصليبيين إليها، ولكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن "بذل لهم الفرنج الأمان (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٨؛ ؛ وانظر: طقوش، ٢٠٠٧: ٤٣٧)، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان (عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ٢٠١٠: ١: ١٩٨).

كما حاول الفاطميون اضافة إلى ما أظهرته الحامية العسكرية في القدس من مقاومة شديدة، انقاذ القدس من خلال ارسال حملة عسكرية من مصر، كان على رأسها أمير الجيوش الفاطمية الأفضل بن بدر الجمالي كما سيأتي، ورغم اتهام الحملة بالتقاعس في الوصول إلى القدس، ولكن الحملة تعرضت للهزيمة، وبدراسة أوضاع الدولة الفاطمية العسكرية، نلاحظ أنه من غير المتوقع أن يكون لديهم قدرات عسكرية كبيرة تمكنهم من تحقيق انتصار حاسم على الصليبيين من ناحية، فالفاطميون لم تكن لديهم حتى القدرة على مواجهة السلاجقة الذين سبق أن استولوا بسهولة كبيرة على المناطق التابعة لهم في بلاد الشام وبخاصة القدس (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٨/ ٢٩)، ولم يتمكنوا من استرداد أي منها، ومن هنا يمكن أن نفهم ان سيطرتهم على بعض مناطق بلاد الشام ولا سيما فلسطين عند بدء الزحف الصليبي عليها قد جاء لاعتبارهم أن المناطق هي مناطق تابعة لهم استولى السلاجقة عليها منهم، وبالتالي فان الفرصة بالنسبة لهم كانت مواتية لاستردادها، واستباقا لسقوطها بيد الصليبيين الذين كانوا يزحفون إليها.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

إن سقوط المنطقة بيد الصليبيين لم يكن ناتجا عن إلا حالة الضعف التي كانت تمر به المنطقة بشكل عام، اذ عانى السلاجقة من الضعف والانقسام والصراع في بينهم، وأما الدولة الفاطمية فلم تكن هي الأخرى في وضع يمكنها من هزيمة الصليبيين أو منع احتلالهم للمنطقة.

ب. محاولة انقاذ القدس:

أثناء حصار الصليبيين للقدس، وصل الأفضل بن بدر الجمالي على رأس حملة عسكرية برية إلى عسقلان، ويذكر سبط ابن الجوزي أن سبب تباطؤه في إنقاذ بيت المقدس يعود إلى طول المدة الزمنية التي قضاها في عسقلان ينتظر وصول الأسطول (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣: ١٩/ ٤٩٨؛ ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٣٧)، وبعد سقوط المدينة أرسل للصليبيين يتوعدهم على ما فعلوه في بيت المقدس، فكان الرد الصليبي بإعادة الرسل (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٢١)، ومهاجمتهم له وهزيمته في ظاهر عسقلان، مما دفعه إلى الاحتماء داخل أسوار المدينة والتحصن بها، قبل أن ينسحب منها عائدا إلى مصر (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٢١)، في حين غنم الصليبيون غنائم الكثيرة منهم (الشارتري، ١٩٩٠: ٧٧-٧٨؛ توديبود، ١٩٩٩: ٣٣٨؛ ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٣٧؛ الصوري، ١٩٩١:٢/ ١٦٠-١٦٦؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٢١؛ سبط بن الجوزي، ٢٠١٣: ١٩/ ٤٩٧-٤٩٨؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٤/ ١٩-٢٠؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٢٤؛ ابن تغري بردي، (ب.ت) : ٥/ ١٤٩-١٥٠).

وتتهم المصادر اللاتينية الجيش الفاطمي بأن هدفه من هذه الحملة كان القتل وليس استرداد بيت المقدس، فيقول عنها بطرس توديبود:" أن أمير مصر الموجود بعسقلان قد أحضر معه السلاسل والأصفاد الحديدية التي سيكبل بها أطفال المسيحيين وسيسترقهم لسنوات عديدة، كما أمر بقتل كل كبار المسيحيين" (توديبود، ١٩٩٩/ ٣٣٧)، أما فوشيه الشارتري، رغم أنه يذكر أن هدف الجيش الفاطمي كان مهاجمة القدس، فإنه يشير أنهم كانوا يخططون لقتل الصليبيين فيها، إضافة إلى هدم كنيسة القيامة ومحوها إلى الأبد، فقال: آلم يتهدد المصريون بألسنتهم قائلين: " ولنحتل القدس والفرنجة في داخلها، وبعد أن نذبحهم جميعا فلنهدم كنيسة القيامة التي تعز عليهم، ولنمح ذكرها إلى الأبد" (الشارتري، ١٩٩٠: ٧٩). وأما ريموندا جيل، فعلى الرغم من أنه ذكر أن هدف الجيش الفاطمي كان مهاجمة بيت المقدس، إلا أنه يتهمه أيضا بأن هدفه كان القتل فقال: "جاءت الأخبار بأن ملك مصر وصل إلى عسقلان مع قوة كبيرة من المسلمين بهدف مهاجمة بيت المقدس وقتل كل الفرنجة ممن هم في سن العشرين وما فوقها، وأسر الباقين من نسائهم، وأنه سيزوج شباب الفرنجة بنساء من جنسه، والنساء الفرنجيات برجال من بلاده، وبذلك يربي جنداً من المحاربين الفرنجة الأصيل" (ريموندا جيل، ١٩٨٩: ٢٥٩-٢٦٠)، والسؤال الهام الذي يمكن أن يثار هنا، هو كيف يمكن التوفيق بين الرغبة الجامحة في القتل عند الفاطميين كما تزعم هذه المصادر، وبين رغبتهم في التعاون والتحالف واقتسام المنطقة الطرفين؟

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

يلاحظ مما سبق، أن الاتهام المباشر للفاطميين بالخيانة ومحاولة التحالف، واقتسام ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام بينهم وبين الصليبيين، ينحصر تحديدا في المصادر اللاتينية على وجه الخصوص، في حين نجد أن المصادر العربية وتحديدا عند كل من ابن الأثير، وابن تغري بردي وابن الجوزي يتهمانهم بالتقاعس والتخاذل عن انقاذ المناطق التي احتلها الصليبيون ولا سيما القدس على وجه الخصوص، في حين يتهمهم ابن الأثير بأنهم هم من استدعى الصليبيون لغزو بلاد الشام واقتسامها بين الطرفين.

من الواضح أن الفاطميين قد حاولوا منع سقوط المناطق التي تتبع لهم في بلاد الشام بيد الصليبيين، ولا سيما يافا وأرسوف وقيسارية والقدس، ويظهر هذا جليا من خلال الدفاع المستميت للحامية العسكرية الفاطمية في القدس، وهو ما يوكده طول مدة الحصار نوعا ما، وشدة المقاومة التي اكدتها المصادر اللاتينية، وأن عرض الحامية للاستسلام مقابل السماح لها بالمغادرة لم يحدث إلا بعد أن دخل الصليبيون فعلا إلى المدينة، كما أن موافقة الصليبيين على العرض يأتي غالبا ضمن ادراكهم لشدة المقاومة التي من الممكن أن تستمر داخل المدينة، إضافة إلى رغبتهم في السيطرة الكاملة عليها وإنهاء مظاهر المقاومة المسلحة فيها بأسرع وقت ممكن. هذا ومن المعلوم أن موافقة الصليبيين على مغادرة الحامية العسكرية الفاطمية في القدس إلى عسقلان لم يكن الأول من نوعه، فقد سبق لهم أن سمحوا بذلك لحامية أرسوف كما ذكرنا.

ج. محاولات استرداد القدس:

بعد فشل محاولة انقاذ القدس من السقوط بيد الصليبيين، قام الفاطميون عام: ٤٩٤هـ/١١٠١م، بإرسال حملة عسكرية من أحد عشر ألف فارس وواحد وعشرين ألف راجل كما ذكرت المصادر اللاتينية (الشارتري، ١٩٩٠: ١١٦؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٢٤؛ ينظر أيضا: رانسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٠٦)، بقيادة سعد الدين الطواشي، حيث وصلت الحملة إلى عسقلان، ومكثت فيها مدة طويلة وهو ما اتاح للصليبيين الاستعداد لمواجهتها (انظر: رانسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٠٦ وما بعدها).

ويرجع فوشيه الشارتري سبب انتظار الفاطميين في عسقلان مدة طويلة دون مهاجمة الصليبيين هو أنهم كانوا يريدون استدراج الصليبيين لمهاجمتهم فيها حتى يتمكنوا من ابادتهم (الشارتري، ١٩٩٠: ١١٦)، أما فايد عاشور فيرى أنهم ربما كانوا ينتظرون وصول امدادات، أو يترقبون الوقت المناسب لمباغتة العدو، أو لعلهم كانوا يخشون من الدخول مع الصليبيين في معركة مباشرة(عاشور، فايد، جهاد المسلمين، ١٩٨٥: ١٢٩؛ عاشور، فايد، ١٩٨٥: ١٢٩).

أما هيفاء الطيار فترى أن انتظار الحملة في عسقلان لعدة أشهر دون عمل مجزي، أتاح للصليبيين فرصة الاستعداد ووضع الخطط العسكرية لمواجهة الحملة من ناحية (الطيار، ٢٠١٣: ١٤١)، وأن الفاطميون قد اركتبوا خطأ كبيرا بعد تحقيقهم لبعض الانتصارات على

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الصليبيين بتحرك قلب الجيش للبحث عن الغنائم مما مكن الصليبيين من مباغتتهم وقتل قائدهم وعددا كبيرا منهم من ناحية أخرى (ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٥٢).

هذا وقد نجحت هذه الحملة بداية في تحقيق بعض النجاحات على القوات الصليبية(انظر: الشارتري، ١٩٩٠: ١١٨-١٢٠)، ولكنها تعرضت لانتكاسة كبيرة حيث قتل سعد الدين الطواشي وعدد كبير من جنوده(ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٥٢)، فقال ابن تغري بردي أن فلول الصليبيين فرت باتجاه قيسارية(ابن تغري بردي، (ب.ت): ٥/ ١٥٢)، وتصف المصادر اللاتينية شدة القتال الذي دار بين الطرفين، فيقول وليم الصوري عن ذلك: "وانقضى وقت طويل لم تتضح فيه نتيجة المعركة، ثم واتت السماء الصليبيين النصر التام فدارت الدائرة على العدو وهلك قائدهم اذ اخترطه السيف فمات وقد استبسل استبسالا رائعا"(الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٢٥-٢٢٦)، في حين يذكر يعقوب الفيتري أن الملك بلدوين[٤] هزم المسلمين وقتل والي عسقلان (الفيتري، ١٩٩٨: ١٤٥)، ويقول الشارتري: "لم يعرف أحد مصير المعركة" (الشارتري، ١٩٩٠: ١١٩).

بعد فشل هذه الحملة، أرسل الفاطميون في نفس العام حملة أخرى قادها شرف المعالي بن الأفضل بن بدر الجمالي بلغ قوامها عشرين ألف مقاتل (الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٢٩-٢٣٠)، في حين قال الشارتري أنها تتكون من عشرين ألف فارس، وعشرة ألاف راجل (الشارتري، ١٩٩٠: ١٢٢)، وأما ابن الأثير فقال إن الأفضل أرسل ابنه شرف المعالي: "في جمع كثير" (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨)، بقيادة شرف المعالي بن بدر الجمالي، توجهت إلى عسقلان ومنها إلى الرملة، وألحق هزيمة كبرى بالجيش الصليبي، كاد الملك الصليبي أن يقتل فيها، فقد ذكر ابن الأثير أنه ألقى بنفسه في الحشيش فلما ابتعد المسلمون خرج وتوجه إلى يافا فقال عن ذلك: "فلما رأى بغدوين شدة الأمر وخاف القتل والأسر ألقى بنفسه في الحشيش واختفى فيه، فلما ابعد المسلمون خرج منه إلى الرملة، وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة، ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا إلى يافا وقاتل ابن الأفضل من بقي خمسة عشر يوما ثم أخذها فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلاثمائة إلى مصر" (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨؛ انظر: ٩/ ٥٧؛ عمران، ٢٠٠٠: ٥٦)، في حين يورد ابن القلانسي أنه اختفى في أجمة قصب وأنه نجا بعد أن أصيب ببعض الحروق (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٤١؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٥٦)، أما وليم الصوري فيذهب إلى القول أن سبب نجاته كان نتيجة لمساعدة قدمها رجل أعرابي كان الملك قد أظهر مروة لزوجته في أول حملة قام بها الملك على منطقة الأردن، حيث قام الإعرابي بتحذيره بضرورة مغادرة الحصن لأن الفاطميين سيهاجمونه في الصباح، فهرب مع بعض أتباعه (انظر: الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٣٢-٢٣٣)، ويصف وليم الصوري ما أصاب الصليبيين من خسائر كبيرة بين قتلى وأسرى، فيقول أن هذه أكبر خسائر

[٤] بلدوين الأول: (١٠٥٨-١١١٨م) : أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وأول ملك على مملكة بيت المقدس الصليبية.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

لحقت بالصليبيين حتى أن مملكة بيت المقدس كادت أن تسقط (انظر: الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٣٣).

وبعد هذه المعركة، قام الجيش الفاطمي باحتلال الرملة وقتل بها حوالي أربعمائة صليبي وأسر ثلاثمائة نقلهم إلى مصر، على ما يذكر كل من ابن الأثير والذهبي (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٤/ ٥٥)، ويورد ابن الأثير والمقريزي أن خلافا حادا بعد احتلال الرملة قد حدث بين قادة الجيش الفاطمي حول الخطوة التالية لاحتلال الرملة فقال بعضهم: "نقصد بيت المقدس ونتملكه. وقال قوم نقصد يافا ونملكها" (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٥/ ٢١٦)، ويضيف ابن خلدون إلى هذا القول حتى أنهم: "كادوا يقتتلون"(ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٥ / ٢١٦).

ويظهر أن ما حول دفة القتال لصالح الصليبيين بعدما قام الفاطميون بقتل وأسر اعدادا كبيرة منهم (ابن الميسر، ١٩١٩: ١٤١)، وصول امدادات للصليبيين من طبرية، وبيت المقدس، ومن المناطق الخاضعة لهم(الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٣٥-٢٤٠)، كما استنجد الملك بلدوين بأمير الرها بلدوين دي بورغ وبالأمير تانكرد أمير أنطاكية اللذان أرسلا قوات برية أوقعت خسائر كبير بالجيش الفاطمي دفعته إلى التراجع إلى عسقلان وعودة قائده شرف المعالي إلى مصر (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨؛ عاشور، سعيد، الحركة الصليبية: ٢٠١٠: ٢٣٥)، ويضاف إلى هذا وصول اسطول ضخم من السفن الانجليزية تحمل عسكرا وحجاج إلى ميناء يافا، حيث تمكن هذا الأسطول من فك الحصار الفاطمي عنها (عاشور، سعيد، دراسات، ١٩٧٩: ١٧٩).

ويرجع أمجد طاعة أبرز أسباب هزيمة الفاطميين إلى ضعف شرف المعالي وعدم قدرته على حسم الصراع بين قادته، وعدم قدرة الأسطول الفاطمي من منع وصول السفن الانجليزية إلى يافا ومد الصليبيين فيها بالمعدات الحربية، هذا بالإضافة إلى توحيد الصليبيين لجهودهم في مواجهة الفاطميين (طاعة، ٢٠١٢: ١٣٩).

قام الأفضل بعدما تعرضت حملة ابنه شرف المعالي للفشل، بتعين تاج العجم واليا على عسقلان وأرسل أربع ألاف فارس لتعزيز حاميتها، وفي نفس الوقت أرسل جيشا بحريا بقيادة القاضي ابن قادوس (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨)، بهدف مهاجمة يافا، ولكن وقع خلاف بين القائدين تاج العجم وابن قادوس حيث رفض تاج التعاون ابن قادوس، فعندما أرسل إليه ابن قادوس يستدعيه ليتفقا على حرب الفرنج كان رده: "ما يمكنني أن أنزل إليك إلا بأمر الأفضل، ولم يحضر عنده، ولا أعانه؛ فأرسل القادوسي إلى قاضي عسقلان وشهودها، وأعيانها، وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا" (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨). وهو ما دفع الأمير الأفضل إلى القبض على تاج العجم وإرسال جمال الملك واليا على عسقلان (العيني، ٢٠١٠: ٢٢؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨)، وقائدا للجيوش الفاطمية في بلاد الشام، ولكن الصليبيين انتصروا عليه، وهو ما جعل الأفضل يطلب مساعدة من

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ملك دمشق شمس الملوك دقاق الذي اعتذر عن ذلك على رأي(ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٦٨)، وأرسل إمدادات ولكن لم يحضر بنفسه على رأي آخر (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٤٢)، ويعتقد سعيد عاشور أن ما كان ينقص الفاطميين ليس كثرة الرجال والعتاد، وإنما افتقادهم لروح التعاون والنظام ووضع الخطط العسكرية، فرفض تاج العجم معاونة ابن قادوس أدى إلى فشل التعاون الفعال بين القوات البرية والقوات البحرية رغم وصول الامدادات اليهما (عاشور، سعيد، دراسات، ١٩٧٧: ١٨٠).

يتضح أن الفاطميون قاموا بثلاث محاولات كبيرة لاسترداد القدس بعد سقوطها، وقد فشلت هذه المحاولات الثلاث رغم تحقيق بعض النجاحات نتيجة لأسباب متعددة ومختلفة، فقد تغلب الصليبيون على الحملة الأولى وقتلوا قائدها، كما كان للخلاف بين قادة الحملة الثانية ووصول امدادات عسكرية برية وبحرية للصليبين دورا كبيرا في فشلها، وساهمت الخلافات بين والي عسقلان الفاطمي وقائد الحملة في فشل الحملة الثالثة. إن هذا يشير إلى التفوق العسكري الصليبي على الفاطميين من ناحية، وعدم وجود قادة فاطميون أقوياء ساهم في فشل محاولات استرداد القدس رغم الحاق هذه الحملات الأذى الكبير بالصليبيين.

د. مقاومة الوجود الصليبي:

يظهر أنه بعد فشل الحملات التي أرسلها الفاطميون لاسترداد القدس، تحولوا إلى مقاومة الوجود الصليبي في المنطقة بشكل عام، وانهم اتخذوا من مدينة عسقلان التابعة لهم قاعدة لذلك، ففي عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥، خاض جيش فاطمي قدم من مصر بقيادة سناء الملك حسين بن الأفضل بالاشتراك مع قوة أرسلها طفتكين أتابك دمشق معركة ضارية ضد الصليبيين، لم يتمكن فيها أي منهما من هزيمة الآخر، وقد وصف ابن الأثير تلك المعركة قائلا: "في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء. وسببها أن الأفضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية إلى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منها أن الفتح له فأتاهم سرية من الفرنج فتقاعد كل فريق بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم، فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر فنفذ ولد الآخر وهو سناء الملك حسين في جماعة من الأمراء منهم جمار الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا إلى طفتكين أتابك دمشق يطلبون منه عسكر فأرسل إليهم أصبهبذ صباوو ومعه ألف وثلاثمائة فارس، وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكة ويافا فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى فقتل من المسلمون ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم، وقتل جمال الملك أمير عسقلان، فلما رأى المسلمون أنهم قد تكافئوا في النهاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عسقلان، وعاد صباوو إلى دمشق، وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكناش بن تتش وكان طفتكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج والكون معهم (ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٨٥).

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وفي عام ٤٩٩هـ/١١٠٦م، هاجمت القوات الفاطمية بمساعدة سكان عسقلان معسكرا للحجاج المسيحيين بين يافا وأرسوف، كما قتلوا عددا من جنود حاكم يافا الصليبي الذي نجا من كمين نصبوه له وتحصن في المدينة (براور، ٢٠٠١: ٣٧).

وفي عام ٥٠٠هـ/١١٠٧م، أغاروا على الطريق الواصل يافا بالقدس، وأوقعوا بالصليبيين العديد من القتلى والجرحى (الشارتري، ١٩٩٠: ١٤٢؛ الصوري، ١٩٩١: ٢٦٧/٢؛ الراهب، ٢٠٠٣: ٢٩)، ونظرا للهجمات المتكررة على الصليبيين في المنطقة، قام الملك الصليبي بمهاجمة عسقلان وحصارها مما جعل واليها الفاطمي شمس الخلافة يطلب مسالمتهم، وهو الأمر الذي لم يرق للأفضل فتوجه بنفسه إلى المنطقة على رأس حملة عسكرية لكنه لم يتمكن من دخول عسقلان بعد تمرد واليها شمس الخلافة الذي استعان بالصليبيين ووعدهم أن يسلم لهم المدينة في حال انتصر على الأفضل (سبط بن الجوزي، ٢٠١٣: ٢٠/ ٤٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٤٦).

إن موقف شمس الخلافة دفع أهالي عسقلان إلى الثورة عليه وقتله ونهب ممتلكاته وارسالها إلى الأفضل (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ١٧٢؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٣٩-١٤٠؛ سبط بن الجوزي، ٢٠١٣: ٢٠٠/ ٤٠؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٥/ ١٩-٢٠؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٤/ ٨٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٤٦-٥٠؛ المقريزي، المقفى الكبير، ١٩٩١: ٢/ ٦٢-٦٣)، ويتهم المقريزي الأفضل بأنه هو من حرض الأهالي على قتله بأن راسل مجموعة من الكنانية وبذل المال لهم ليقتلوه(المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٥١)، وأنه عين بعده مؤيد الدولة خطلج المعروف بزريق واليا جديدا عليها (المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٥١)، وبذلك استؤنفت مقاومة الصليبيين في المنطقة من جديد.

في عام ٥٠١هـ/١١٠٧م، هاجم الفاطميون الخليل، ووصلوا عام ٥٠٣هـ/١١١٠م، إلى أسوار القدس، واستمروا في القيام بغارات أزعجت حياة النزلاء والحجاج الصليبيين في السهل الساحلي (عاشور، سعيد، دراسات، ١٩٧٧: ١٨٤).

وفي عام ٥٠٧هـ/١١١٣م، وصل الفاطميون من عسقلان إلى أسوار القدس، فهاجموا الصليبيين، وقاموا بإحراق محاصيلهم الزراعية في المنطقة، وقتلوا عددا منهم (الدويهي، (د.ت): ١٠٦؛ الشارتري، ١٩٩٠: ١٥٣؛ الدويهي، (ب.ت): ١٦)، وفي عام ٥٠٨هـ/١١١٥م، عادوا لمهاجمة القدس مرة أخرى، ويذكر كل من الشارتري، والصوري، والدويهي، أنهم أشعلوا النار حول أبوابها، وحاولوا تسلق أسوارها ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك (الشارتري، ١٩٩٠: ١٥٦)، كما قاموا بعد ذلك بمهاجمة يافا دون أن يتمكنوا أيضا من اقتحامها (الشارتري، ١٩٩٠: ١٥٦؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣١١-٣١٢؛ الدويهي، (د.ت): ١٠٨-١٠٩).

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وفي عام ٥١٢هـ/١١١٨م، خرج الأفضل بنفسه من مصر على رأس حملة عسكرية كبيرة متجها إلى عسقلان، حيث طلب المساعدة من أتابك دمشق طفتكين فقال الشارتري عن ذلك: "عند حلول الصيف في العام ذاته، جمع المصريون حشودا جرارة في جيش يقدر عدده بخمسة عشر ألف فارس وعشرين الف راجل قاصدين تدمير مسيحيي القدس في معركة. وعندما وصلوا إلى عسقلان، تقدم طفتكين ملك دمشق مع رجاله، بعد أن عبر نهر الأردن، ليقدم المساعدة لهم. وعلاوة على ذلك ابحر اسطول خطر لا يستهان بقوته إلى عسقلان، الا ان هذا الاسطول المؤلف من السفن الحربية وسفن المؤونة، غادر إلى صور. ولكن الرجال الذين حضروا برا بقوا في عسقلان توقعا للقتال (الشارتري، ١٩٩٠: ١٨٥؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٤٣؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٧٨؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٣٥/ ٣١٥؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٥/ ١٧٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٥٣-٥٤...؛ الدويهي، (د.ت): ١١٢)، ولم تشهد هذه الحملة مواجهات كبيرة مع الصليبيين الذي طلبوا مساعدة من إمارتي طرابلس وأنطاكية (الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٤٣؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٤٣؛ الدويهي، (د.ت): ١١٢).

وعاد الفاطميون سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، بحملة برية وبحرية كبيرة، حاصرت يافا حصارا شديدا، ولم تضطر إلى الانسحاب عنها إلا بعد إلا بعد حصار أساطيل البنادقة للأسطول الفاطمي الذي انسحب، وكذا انسحب الجيش البري إلى عسقلان (الشارتري، ١٩٩٠: ١٩٥-١٩٦؛ الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٧٠-٣٧٢؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ٢٢٥).

وفي سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، هاجمت القوات الفاطمية القدس، وتمكنت من قتل وأسر عددا من الصليبيين، وقاموا بإحراق الأراضي الزراعية وقتل من كان في قرية البيرة من الصليبيين وتخريب ممتلكات الصليبيين في المنطقة (لشارتري، ١٩٩٠: ٢١٤ ؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣١-٣٩).

هذا، ومن الجدير بالذكر بهذا الخصوص، أن الفاطميين لم يكونوا هم المبادرون دائما بالهجوم على الصليبيين، بل إنهم كانوا كثيرا ما يتعرضون لهجمات الصليبيين، فقد هاجموهم في عسقلان أكثر وبخاصة في سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، ولكن حاميتها تمكنت صدهم (ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٥/ ١٧٨؛ ابن الأثير، ١٩٩٨: ٩/ ١٨٦؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٥/ ١٧٨).

من الواضح أن الوجود الفاطمي في عسقلان كان يشكل مصدر قلق وخطر كبيرين للصليبيين، مما جعلهم يعملون على إحاطة المنطقة القريبة من عسقلان بعدد من القلاع والحصون للتصدي للهجمات التي تخرج منها، فبنيت قلعة قرب الرملة لتامين الطريق بين يافا والقدس (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٢٠٩؛ الفيتري، ١٩٩٨: ٤٦؛ الدويهي، (د.ت): ١٢٦؛ براور، ٢٠٠١: ٣٨؛ رانسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٦٧)، وبنيت قلعة أخرى في بيت جبرين تتحكم في الطريق بين عسقلان والخليل (شاهين وآخرون، ٢٠٠٧: ٩٩؛ براور، ٢٠٠١: ٣٨)، كما بنيت

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

قلعة ثالثة قرب عسقلان (براور، ٢٠٠١: ٣٨؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٢١٠؛ الفيتري، ١٩٩٨: ٤٦؛ براور، ٢٠٠١: ٣٨)، وقلعة رابعة في منطقة تل الصافية القريبة أيضا من عسقلان(شاهين وآخرون، ٢٠٠٧: ١٠٣؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٢١١؛ الفيتري، ١٩٩٨: ٤٦؛ ؛ ينظر أيضا: براور، ٢٠٠١: ١٠٣؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٢١١).

رغم كل هذه التحصينات، أغار الفاطميون على أرسوف (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ١٢٠-١٢١) (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ١٢٠-١٢١)، وكانوا كثيرا ما يهاجمون الصليبيين خارج عسقلان (ابن القلانسي، ١٩٠٨: ٢٧٣؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ١٧٤؛ الذهبي، ١٩٩١: ٣٦/ ٢١٨؛ ابن خلدون، ٢٠٠٠: ٥/ ٢٣١)، مما جعل الصليبيين يقررون مهاجمة عسقلان ومحاولة الاستيلاء عليها، مستفيدين من حالة الضعف الشديد الذي آخذت تمر به الدولة الفاطمية في مصر، فقد فشلت الحملة التي أرسلها الوزير الفاطمي العادل بن سلار بسبب مقتله، وعن ذلك يقول ابن الوردي: "وفيها (سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، اختلفت الأهواء في مصر فقتل العادل، فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها من المصريين" (ابن الوردي، ١٩٩٦: ٣/ ٥٣).

يظهر أن حصار الصليبيين كان شديدا، فقد حاصروها من البر والبحر، ولم يتكمن الفاطميون من تقديم مساعدات ذات قيمة لإنقاذها، وعن سبب ذلك يقول المقريزي أن حصارها حدث في عهد الخليفة الفاطمي الظافر بالله[٥] (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٥٠-١١٥٥م)، الذي اتسم عهده بالفوضى السياسية، وانشغاله باللهو (المقريزي، اتعاظ الحنفا، ١٩٩٦: ٣/ ٢٠٩)، هذا رغم أن بعض المصادر الأخرى أكدت على أنه قد تم ارسال أسطولا مزودا بالمقاتلين والأسلحة والمؤن نجح في الوصول إلى عسقلان (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣٥٦-٣٥٨؛ ابن القلانسي، ١٩٠٨: ٢٨٩).

وعلى الرغم من مقاومة عسقلان المستميتة للحصار الصليبي (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣٦٠-٣٦٧؛ ابن القلانسي، ١٩٠٨: ٣٢١)، إلا أنها لم تتمكن من الصمود لفترة طويلة (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣٦٧-٣٦٩)، وهو ما جعل سكانها في نهاية المطاف يستسلمون مقابل السماح لهم بالرحيل عنها بأمان وهو الأمر الذي وافق عليه الملك الصليبي (الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣٦٩-٣٧١؛ الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣٦٩-٣٧١؛ ابن القلانسي، ١٩٠٨: ٣٢١ أبو شامة، ١٩٩٧: ١: ٢٥٩).

من الواضح أن الفاطميون قد حاولوا انقاذ أو تحرير بعض المدن التي سقطت بيد الصليبيين، وأن محاولاتهم هذه وهجماتهم على الصليبيين لم تتوقف، على مدار نصف قرن من الزمن تقريبا، وتحديدا منذ بداية الاحتلال حتى سقوط عسقلان بيد الصليبيين، فقد وصلوا إلى القدس، وإلى المناطق القريبة منها، كما وصلوا حتى الخليل أكثر من مرة، كما أنهم هاجموا معسكرات

[٥] انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣١٩؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ١٩٣-٢١٠.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الصليبيين مرات عدة، مع الاشارة إلى أنهم لم يكونوا دائما هم المبادرون للهجوم على الصليبيين، بل كان الصليبيون كثيرا ما يقومون بمهاجمتهم.

كما يظهر أن الفاطميين حاولوا أكثر من مرة التعاون مع السلاجقة أو المسلمين السنة في مواجهة الصليبيين، ولكن هذا التعاون ظل محدودا ولم يتطور إلى تعاون أو تحالف كبير نتيجة للأوضاع التي كانت تمر بها المنطقة بشكل عام، وأن ومن غير المنصف القاء تبعية الفشل في إقامة مثل هذا الحلف على الفاطميين وحدهم.

الخاتمة:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

- أن اتهام الفاطميين بالخيانة ومحاولة التحالف، واقتسام ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام بينهم وبين الصليبيين ينحصر في المصادر اللاتينية على وجه الخصوص، في حين نجد أن عددا محدودا من المؤرخين المسلمين قد اتهمهم بالتقاعس عن انقاذ المناطق التابعة لهم من السقوط بيد الصلبيين ولا سيما القدس.
- ان اتهام ابن الأثير للفاطميين بأنهم هم من استدعى الصليبيون لغزو بلاد الشام واقتسامها بين الطرفين، يتناقض مع طبيعة الحروب الصليبية وأسبابها، فلم يرد ما ذكره عند أي من المؤرخين الأخرين، كما أن ابن الأثير نفسه قد أبدى نوعا من الشك فيما ينقل بقوله: "والله أعلم"، يضاف إلى كل هذا أنه لا يمكن بأي حال أن يقال بأن الحركة الصليبية التي نتجت عن أسباب متعددة ومتداخلة قد حدثت نتيجة استجابة لدعوة تلقوها من الفاطميين لغزو المنطقة.
- حاول الفاطميين منع سقوط المناطق التي تتبع لهم في بلاد الشام بيد الصليبيين ولا سيما يافا وأرسوف وقيسارية والقدس، من خلال دفاع حامياتهم العسكرية الصغيرة فيها وصمودها في وجه الحصار الصليبي لفترات متفاوتة.
- حاول الفاطميون انقاذ القدس قبل سقوطها بيد الصليبيين ولكنهم لم ينجحوا في ذلك، كما حاولوا أكثر من مرة استردادها بعد سقوطها، ورغم أنهم ألحقوا خسائر كبيرة بالصليبيين إلا أن جميع محاولاتهم لم يكتب لها النجاح، وذلك لميل ميزان القوة لصالح الصليبيين بالدرجة الأولى، ولأسباب لها علاقة بأوضاع الدولة الفاطمية السياسية والعسكرية العامة من ناحية أخرى.
- استمر الفاطميون بما هو متاح لديهم من قوة في مناوئة الوجود الصليبي في بلاد الشام قرابة نصف قرن من الزمن، وصلوا فيها إلى القدس والمناطق القريبة منها أكثر من مرة، ألحقوا بالصليبيين فيها الكثير من الخسائر، كم أنهم خسروا الكثير من قواتهم، ولكنهم لم يكونوا يملكون من القوة لإخراج الصليبيين كليا من المنطقة.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

المراجع العلمية

أولاً: المصادر:

١. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت:٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)، الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط.١، بيروت، ١٩٩٨م.

٢. ابن تغري البردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي للتأليف والترجمة والطباعة، (د.ط)، (د.م)، (د.ت).

٣. الحنبلي، مجير الدين (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، مكتبة المحتسب، عمان، (د.ط)، (د.ت).

٤. ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون, ٨ أجزاء، ضبط المتن خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، تحقيق دار الفكر، بيروت، ١٤٢١ ه-٢٠٠٠م.

٥. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٨جزء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

٦. الدويهي، أسطفهان (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م)، تاريخ الأزمنة، تحقيق بطرس فهد، دار لحد خاطر، بيروت، د.ط، د.ت.

٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, ٥٢ جزء، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٠ م.

٨. الراهب، دانيال، وصف الأرض المقدسة للحاج الروسي دانيال الراهب (١١٠٦-١١٠٧م)، ترجمة سعيد البيشاوي، داود أبو هدبة، دار الشروق، ط١، (د.م)، ٢٠٠٣م.

٩. سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف (ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان, ٢٢ جزء، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، ط١، بيروت، ٢٠١٣ م.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

١٠. الشارتري، فوشيه (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م)، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق، ط١، عمان، ١٩٩٠ م.

١١. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٥ أجزاء، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

١٢. ابن الطوير، أبو محمد، المرتضى عبد السلام القيسراني (ت: ٦١٧ هـ/١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن السيد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢ م.

١٣. العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٤. الفيتري، يعقوب، تاريخ بيت المقدس، تحقيق سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط١، عمان، ١٩٩٨م.

١٥. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن محمد التميمي (ت: ٥٥٥ هـ/١١٦٠م)، تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (د.ط)، بيروت، ١٩٠٨م.

١٦. المقريزي، تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٥٠م):

- المقفى الكبير، ٧ أجزاء، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩١م.
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق جمال محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار, ٤ أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د.ت).

١٧. ابن الميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت: ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، المنتقى في أخبار مصر، ٢ جزء، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩١٩م.

١٨. ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر، تاريخ ابن الوردي (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٩. ياقوت، ابن عبد الله، الشيخ شهاب الدين بن عبد الله الحموي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

١. براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، مصر، ٢٠٠١م.

٢. توديبود، بطرس، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الانجليزية جون هيوج هيل و لوريتال هيل وإلى العربية حسين محمد عطية، (ب،ن)، ١٩٩٩م.

٣. الحيارى، مصطفى، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، مكتبة عمان، ١٩٩٤م.

٤. ر، سي، سميل، فن الحرب عند الصليبين في القرن الثاني عشر، ١٠٩٧-١١٩٣م، ترجمة محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٥م.

٥. رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحملات الصليبية، من كليرمونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٤أجزاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٦. ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، ط١، مصر، ١٩٨٩م.

٧. الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

٨. شاهين، رياض مصطفى، والأغا، حسام حلمي، الاستيطان الصليبي في فلسطين، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، ط١، دمشق، ٢٠٠٧م.

٩. عاشور، سعيد، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مج ١٦، ١٩٦٩م، ص ص ١٦-٦٦.

١٠. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ٢ جزء، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠١٠م.

١١. عاشور، سعيد، دراسات وبحوث في تاريخ العصور الوسطى، ١٩٧٧م.

١٢. عاشور، فايد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣. عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية(١٠٩٥-١٢٩١م)، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

١٤. الكناني، مصطفى، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى، أضواء جديدة على الحركة الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317